

تحديد موقع القادسية: رسم خريطة لأشهر معركة في العراق في فترة الفتح الإسلامي المبكر

ويليام ديدمان (جامعة دورهام، المملكة المتحدة)
جعفر الجوزري (قسم الآثار، جامعة القادسية، العراق)
كريستين هوبر (جامعة دورهام، المملكة المتحدة)
رجوان الميالي (قسم الآثار، جامعة القادسية، العراق)
أحمد اللهبي (الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، العراق)
أنثيا كرين (معهد الآثار، كلية لندن الجامعة، المملكة المتحدة)
يمكن التواصل مع المؤلف عبر الإيميل william.deadman@durham.ac.uk

الخلاصة

تعد معركة القادسية (8/637 م) إحدى المعارك المهمة في تاريخ الإنسانية، والتي حقق فيها المسلمون العرب نصرًا حاسمًا على قوات الإمبراطورية الساسانية خلال الفتوحات الإسلامية المبكرة. وقد تم استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد لتحديد موقع هذه المعركة في جنوب غرب العراق.

الكلمات المفتاحية

بلاد الرافدين، الساسانيون، القادسية، صور هيكساكون، الاستشعار عن بعد

المقدمة

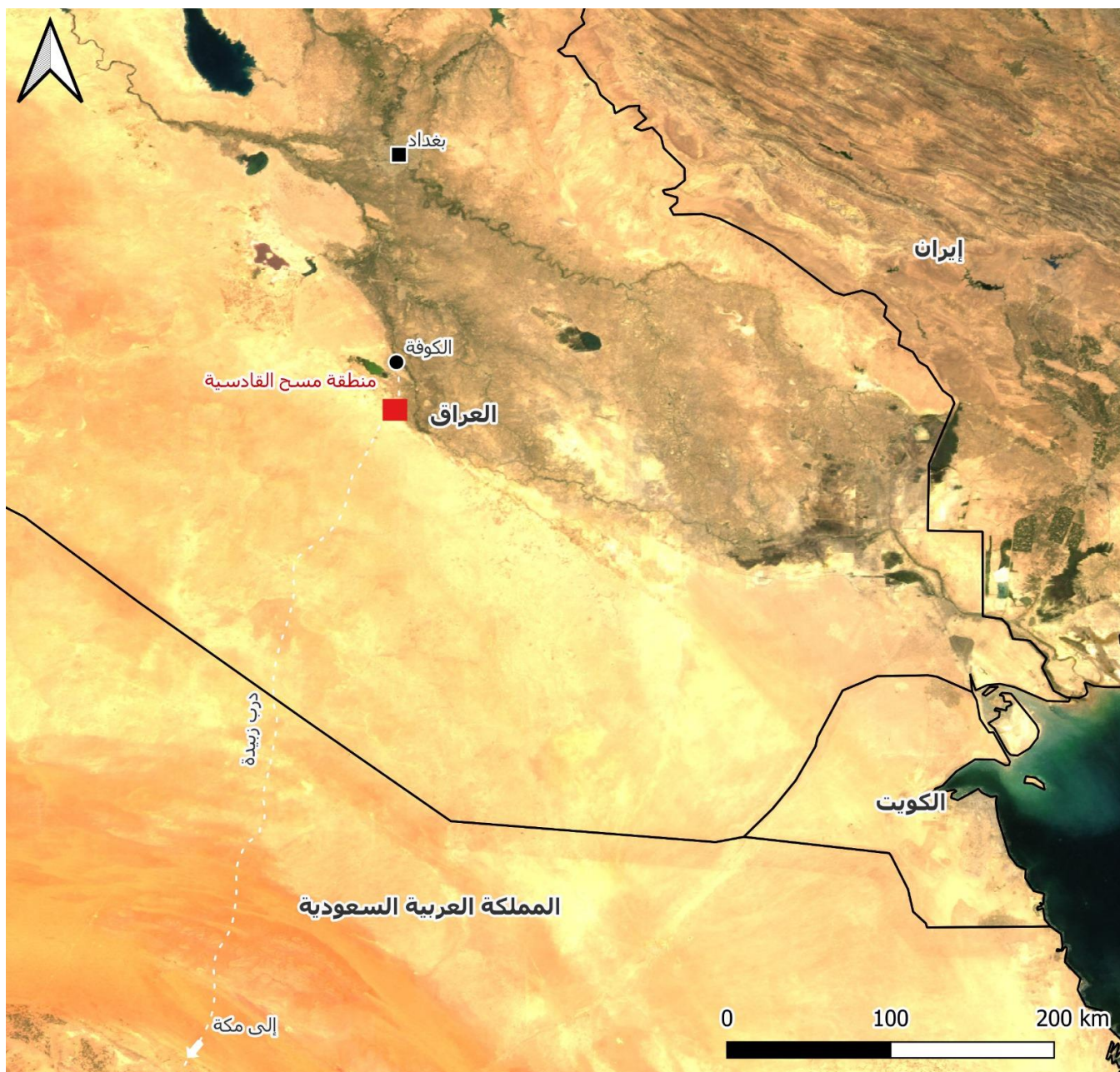
درب زبيدة هو طريق حج بري يمتد من الكوفة في العراق إلى مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية (Peterson 1994; Rashid 1977)، وهو أحد المواقع المرشحة للإدراج على لائحة التراث العالمي. تم إجراء مسح أثري لهذا الطريق باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد كجزء من مشروع "الآثار المهددة بالانقراض في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" (EAMENA) ومن خلال هذا المسح تم تحديد مكان موقعين تاريخيين مهمين هما القادسية والغذيب. هذان الموقعان مفقودان على أرض الواقع ولم يُعرف مكانهما بالضبط سابقًا، ولكنهما معروفان في النصوص التاريخية كأحد محطات الاستراحة العديدة الواقعة على امتداد درب زبيدة (شكل رقم 1)، وهما أيضًا مكانان أساسيان مشار إليهما بكثرة في النصوص التاريخية التي تتناول معركة القادسية، وهي إحدى أشهر معارك الفتوحات الإسلامية المبكرة.

السياق التاريخي

في عام 637/636 م وقعت معركة بين المسلمين العرب والإمبراطورية الساسانية في منطقة بين السهل الرسوبي الخصب لبلاد الرافدين والصحراء. وهي من المعارك الحاسمة في الفتح الإسلامي المبكر كونها المعركة التي فُتح فيها العراق، لينتشر الإسلام من بعد ذلك إلى بلاد فارس وما وراءها، وبالتالي فإنها ذات أهمية تاريخية وثقافية كبيرة بالنسبة للعالم العربي. هناك مجموعة كبيرة من المصادر التاريخية (الجدول رقم 1) التي أوردت معركة القادسية (Lewental 2011; Yusuf 1945) ولكن هناك ستة أدلة تُعد من أهم الإشارات التاريخية الخاصة بوصف مكان وقوع المعركة.

Received: 7 June 2024; Revised: 2 August 2024; Accepted: 7 August 2024

© The Author(s), 2024. Published by Cambridge University Press on behalf of Antiquity Publications Ltd. This is an open Access article, distributed under the terms of the Creative Commons Attribution licence (<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>), which permits unrestricted re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.



الشكل 1: موقع منطقة القادسية في جنوب غرب العراق (صور MODIS من وكالة ناسا، تم رسم الشكل من قبل ويليم ديدمان).

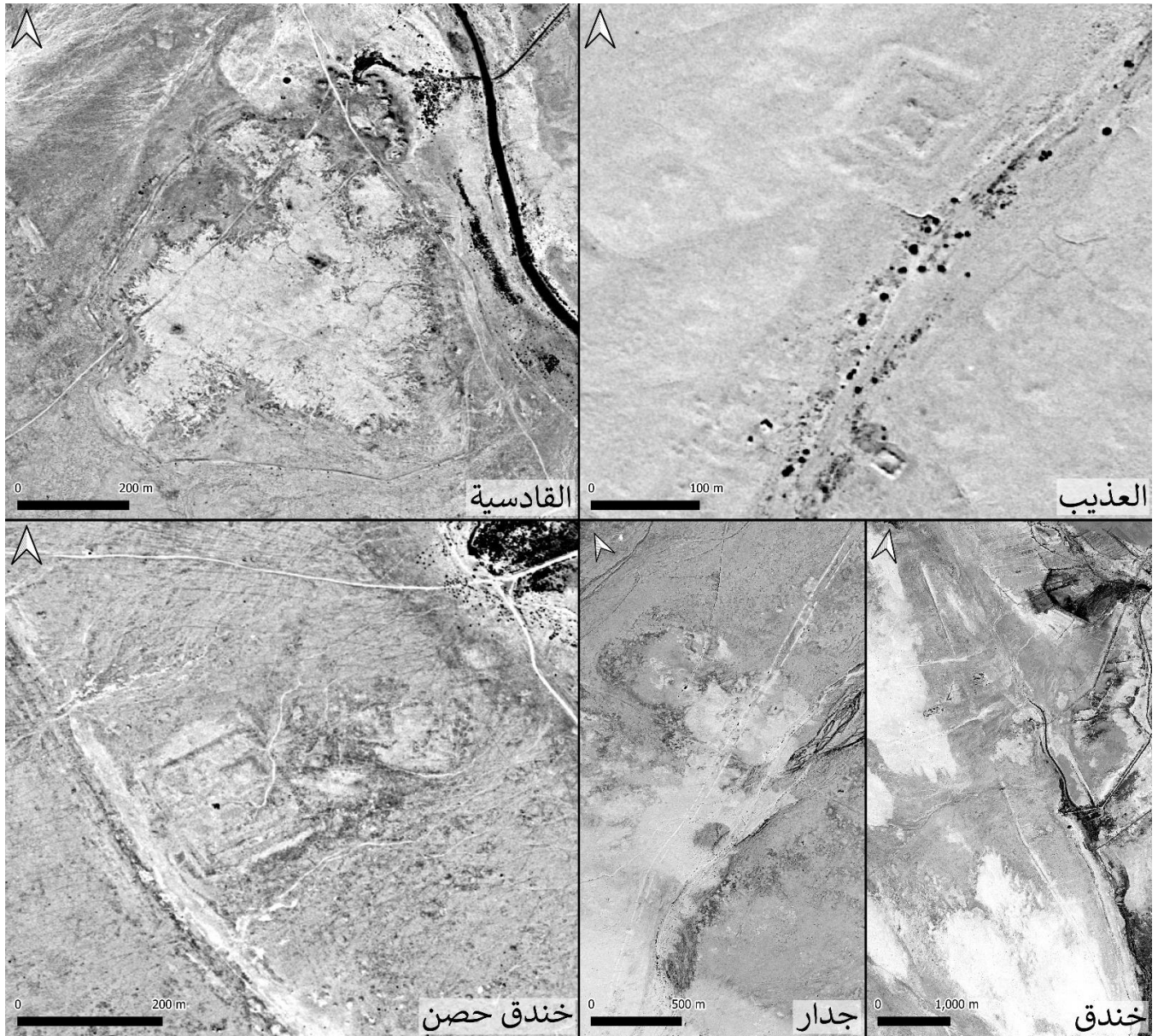
مسح موقع القادسية

تم إجراء مسح أثاري منتظم للمنطقة المحصورة بين الكوفة وأخر محطة على درب زبيدة باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد مثل صور فضائية حديثة عالية الدقة ([Google Earth, Bing Map](#)). تم تمييز مظهر سطحي يشبه الجدار الطويل (أو قناة ري) مزدوج بطول 10 كم يمتد بين مبنى عسكري من جهة الصحراء (الغذيب) ومستوطنة كبيرة على حافة السهل الرسوبي (القادسية) (شكل رقم 2). وبعدما تم اكتشاف هذا الجدار تم استخدام الصور الفضائية القديمة هيكساكون KH9 (شكل رقم 3) الملتقطة في العام 1973. ان هذه الصور الفضائية القديمة تظهر المعالم السطحية قبل التوسع الزراعي والعمراني الحديث (Hammer et al. 2022). تم بعد ذلك إجراء

معاينة وكشف حقلي سريع للمعالم الرئيسية وتم التقاط صور فوتوغرافية لتلك المعالم مع معاينة لبعض الفخار السطحي الموجود على تلك المعالم الأثرية. كما تم كذلك مراجعة للنصوص والروايات التاريخية المتعلقة بالمعركة.

مستخلص النص	المصدر	الدليل الأثري
كانت القادسيّة مستوطنة كبيرة، على بعد خمسة عشر ميلا من الكوفة	ابن بطوطة - القرن الرابع عشر (Mackintosh-Smith 2012: 57-58)	تل عين احسن يبعد 28 كم (14-16 ميل عربي) عن الكوفة
الغذيب هو موقع عسكري فارسي سابق على حافة الصحراء، على بعد 24 ميلا من محطة الطريق التالية في درب زبيدة	ابن خردادبة وقدامة - القرن التاسع و العاشر (de Goeje 1889: 122-23, 183)	الخطوط الامامية للجيش كانت 42 كم (21-25 ميل عربي) عن اقرب محطة استراحة على درب زبيدة
ويرتبط القادسيّة والغذيب بجدار مزدوج طوله ستة أميال		هناك جدار مزدوج بطول 10 كم (5-6 ميل عربي) يمتد بين المستوطنة والخطوط الامامية
يتم زراعة كلا جانبي هذا الجدار	ابن رستم - العاشر 1892 ص 175 (de Goeje 1892: 175)	هناك أنظمة حقول زراعية واضحة على جانبي الجدار
القادسيّة تقع إلى الجنوب من مسطح مائي كبير، بين خندق ونهر جاري يتطلب عبوره جسرا	الطبري - القرن العاشر (Friedmann 1992: 23-25, 89)	تل عين الحسن تقع جنوب شرقي بحر النجف بين خندق كبير وقناة مندرسة لنهر الفرات
وقعت المعركة بين الخندق والقلعة المسورة من جهة والنهر من جهة أخرى		تقدر مساحة موقع المعركة بحوالي 3.5 كم مربع

الجدول 1: الأدلة المذكورة بالمصادر التاريخية لتحديد موقع القادسيّة ومقارنتها بالأدلة الأثرية من المسح الأثري لدرب وزبيدة.



الشكل 3: المعالم الأثرية الأساسية المكتشفة في منطقة الدراسة كما تظهر في صورة 9KH 1973 (الصور تعود للمسح الجيولوجي الأمريكي، تم رسم الشكل من قبل ويليم ديدمان).

أما موقع الغذيب الأثري فيقع إلى الغرب من موقع القادسية الأثري، وهو مكون من عدة بنايات أهمها أسس لقلعة مربعة الشكل تقع شمال وادي الغذيب (الشكل 3)، مكونة من هيكل داخلي بأبعاد 30×30 م تقريباً، مع أبراج مستديرة في كل زاوية. أما الجدار الخارجي للقلعة فهو بأبعاد 90×90 م تقريباً، أما الساتر الترابي الخارجي فهو بطول 160 م وعرض 10 م. على الضفة الجنوبية توجد بقايا لأسس بناية بأبعاد 25×18 م وهي أقل مقاومة لعوامل التعرية.

أما الجدار المزدوج (أو قناة مزدوجة الجدار) الذي يربط بين موقع الغذيب الأثري وموقع القادسية الأثري، فهو بطول 10 كم ويمكن رؤيته بشكل كامل في صور هيكساكون KH9، أما في الوقت الحاضر فقد تم تدمير 6 كم من الجزء الشرقي بسبب الزراعة الحديثة بشكل كبير. يبلغ عرض كل جدار حوالي 5 إلى 10 م، وتبلغ المسافة بين الجدارين حوالي 40 إلى 50 م، وتضيق إلى أقل من 20 م في نهاية الجزء الغربي من الجدار. ويتصل الجداران في نهاية الجزء الغربية من الجدار بقناة واحدة طولها 1 كم تقريباً تنتهي على مقربة 350 م

من موقع الغُذيب الأثري. يبدو أن الجزء الشرقي من الجدار ينتهي عند قناة وادي صغيرة، على بعد أقل من 1 كم من القادسيّة. يمكن رؤية شبكة من حقول زراعية مهجورة على جانبي "الجدار".

توجد بقايا لخنندق دفاعي كبير في الجهة الغربية لموقع القادسيّة الأثري يمتد لمسافة أكثر من 8 كم بشكل موازٍ لحافة السهل الرسوبي (الشكل 4). وتوجد رابية على الجهة الشرقية من الخندق يبلغ عرضها أكثر من 10 أمتار، مع جدار متآكل في الجانب الشمالي الشرقي من الرابية، كما توجد بقايا لأبراج مراقبة بأبعاد 30×30 م على نهايات الخندق.



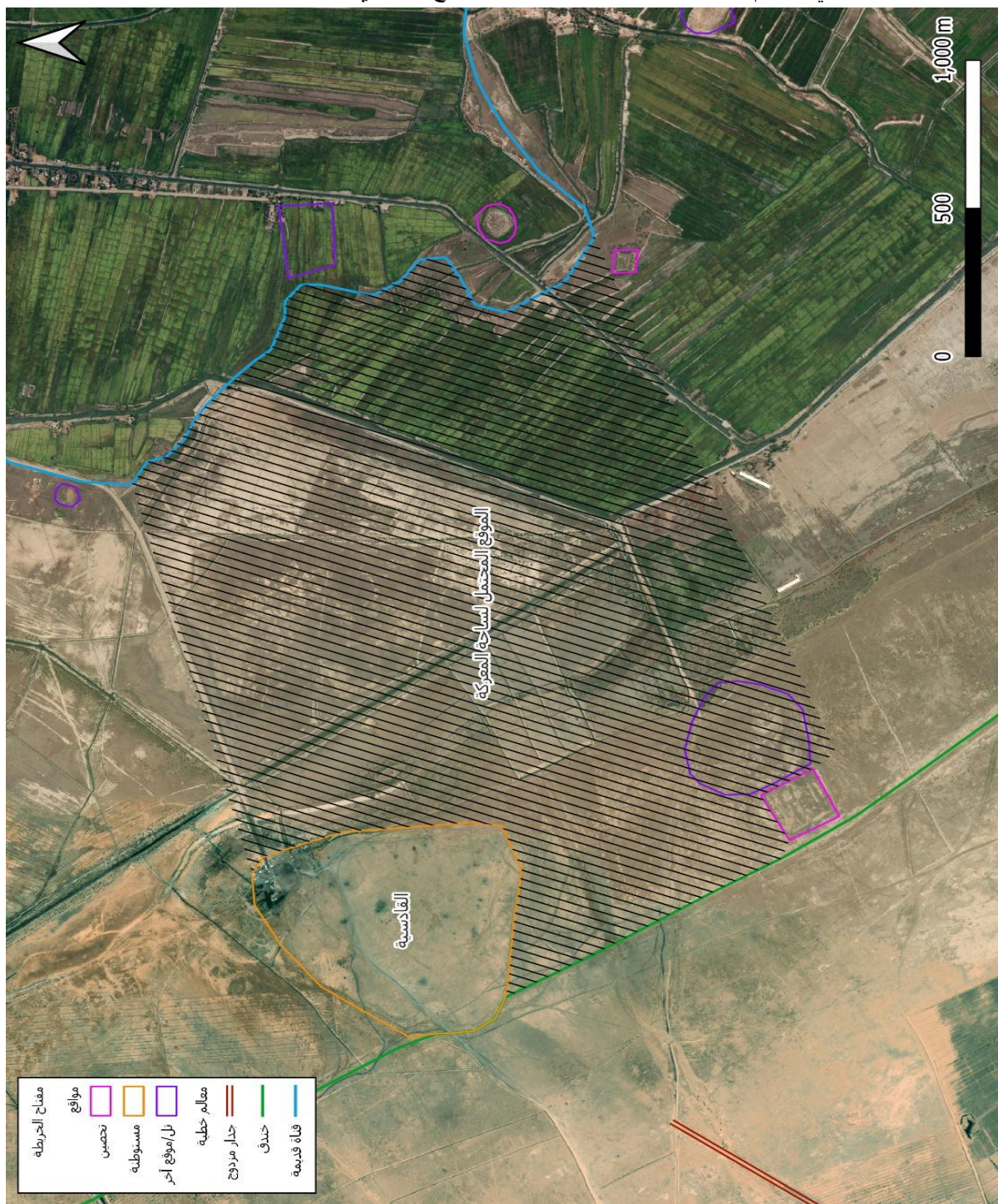
الشكل 4: الخندق وجداره، اتجاه التصوير إلى الشمال (مصدر الصورة: جعفر الجوزري).

توجد بقايا حصن أو قلعة مربعة الشكل كبيرة على الجانب الشرقي من الخندق، على مسافة متساوية بين القادسيّة وبرج المراقبة الجنوبي. يبلغ عرض هذه القلعة المحتملة 180 م × 180 م، وتوجد أسس هيكل داخل هذه القلعة بأبعاد 40×50 م. إن هذه القلاع وقلاع موقع الغُذيب الأثري مشابهة لقلاع واقعة على مشارف حدود أخرى للإمبراطورية الساسانية (Lawrence & Wilkinson 2017). توجد هناك أسس متآكلة لبعض التراكيب الدفاعية مثل الروابي وأبراج المراقبة. من خلال المعاينة الأولية للفخار في منطقة الدراسة، يمكن القول بأنه فخار ساساني إلى إسلامي مبكر، ولكن ينبغي إجراء دراسات تفصيلية مستقبلاً لتأكيد تأريخ الفخار.

تحديد موقع القادسيّة

إن توافق المصادر التاريخية والشواهد الأثرية ملحوظ، فمن خلال البيانات التاريخية يمكن تحديد موقع ساحة المعركة (الجدول 1). يذكر الطبري أن المعارك الساسانية والعربية كانت على التوالي على ضفة نهر أ أو مجرى مائي، و "عند جدار الغُذيب، مع خندق أو قناة خلفهم (1992: 89)". ربما كانت "القُدَيْس" حصناً (Lewental, 140-138: 2011)، حيث قاد القائد العربي قوات المسلمين (الطبري 1992: 27)، ويمكن أن يكون الحصن المربع على الجانب الشرقي من الخندق هو القادسية، فالقادسية هي منطقة ساحة المعركة بين الخندق والنهر القديم (الشكل 5).

هناك عدة بحوث تمكنت من تحديد معالم أثرية ذات علاقة بنظام الحدود والخطوط الدفاعية الساسانية مثل خندق شابور الذي بُني في وقت مبكر من النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، وسلسلة من الحصون ومحطات الطرق الممتدة على طول الحدود الصحراوية (de Gruchy et al. 2021; Lawrence & Wilkinson 2017; Morley 2017: 273). ان اكتشافنا هذا يُضاف الى تلك مجموعة الاكتشافات السابقة في المعالم اثرية من فترة القرن السادس او السابع الميلادي.



الشكل 5: الموقع المحتمل لمعركة القادسية (Bing imagery sober 2024 Microsoft، تم رسم الشكل من قبل ويليم ديدمان)

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل للسيد احمد فليح شبر والسيد ياسر حمود حوات (من الهيئة العامة للآثار والتراث في العراق) على مساعدتهما وتعاونهما، ولسيد دان لورانس والسيد غراهام فيليب على تعليقاتهما على البحث.

بيان التمويل

يتم تمويل مشروع EAMENA من قبل صندوق Arcadia.

المراجع

AL-RASHID, S.A. 1977. A critical study of the pilgrim road between Kufa and Mecca (Darb Zubaydah) with the aid of fieldwork. Unpublished PhD dissertation, University of Leeds.

DE GOEJE, M.J. 1889. Kitâb al-masâlik wa'l-mamâlik (Liber viarum et regnorum), auctore Abu 'l-Kâsim Obaidallah ibn Abdallah ibn Khordâdhbeh; etexcerpta e Kitâb al-kharâdj, auctore Kodâma ibn Dja'far. Leiden: Brill (in Arabic).

-1892. Kitâb al-a'lâk an-nafisa VII auctore Abû Ali'Ahmed ibn Omar Ibn Rosteh et Kitâb al-boldân auctore Ahmed ibn abîJakûb ibn Wâdhih al-Kâtib al-Jakûbi. Leiden: Brill (in Arabic).

DE GRUCHY, M. et al. 2021. The Khandaq Shapur: defense, irrigation, boundary, frontier. Land 10. <https://doi.org/10.3390/land10101017>

FRIEDMANN, Y. 1992. The history of al-Tabari, volume 12. Albany: State University of New York Press.

HAMMER, E., M. FITZPATRICK & J. UR. 2022. Succeeding CORONA: declassified HEXAGON intelligence imagery for archaeological and historical research. Antiquity 96: 679–95. <https://doi.org/10.15184/aqy.2022.22>

HOWARD-JOHNSTONE, J. 2012. The late Sasanian army, in T. Bernheimer&A. Silverstein (ed.) Late Antiquity: eastern perspectives: 87–127. Cambridge: Gibb Memorial Trust.

LAWRENCE, D. & T.J. WILKINSON. 2017. The northern and western borderlands of the Sasanian Empire: contextualising the Roman/Byzantine and Sasanian frontier, in E. Sauer (ed.) Sasanian Persia: between Rome and the steppes of Eurasia: 99–125. Edinburgh: Edinburgh University Press.

LEWENTAL, D.G. 2011. Qadisiyyah, then and now: a case study of history and memory, religion, and nationalism in Middle Eastern discourse. Unpublished PhD dissertation, Brandeis University.

MACKINTOSH-SMITH, T. 2012. The travels of Ibn Battutah. London: Folio Society.

MORLEY, C. 2017. The Arabian frontier: a keystone of the Sasanian Empire, in E. Sauer (ed.) Sasanian Persia: between Rome and the steppes of Eurasia: 268–83. Edinburgh: Edinburgh University Press.

PETERSEN, A. 1994. The archaeology of the Syrian and Iraqi Hajj routes. World Archaeology 26: 47–56. <https://doi.org/10.1080/00438243.1994.9980260>

YUSUF, S.M. 1945. The battle of al-Qadisiyya. Islamic Culture 19: 1–28.